

هشام غصيب
الأعمال الفكرية 4

هشام غصيب

الأعمال الفكرية 4



• الأعمال الفكرية

• هشام غصيب

• الطبعة الأولى 2007

الأهلي | ahli

نشر بدعم من البنك الأهلي الأردني
Jordan Ahli Bank

حقوق النشر والتوزيع محفوظة:

دار وورد الأردنية للنشر والتوزيع

P.O. Box 927651 Amman 11160 Jordan
Tel. +962 9 5606 263 - Fax + 962 9 5606 302
E-mail : wardbooksjo@yahoo.com



• الفلاف: غسان أبو لبن

• الإخراج الفني: تغريد التويم

• رقم الايداع لدى دائرة المكتبات الوطنية 2059 / 7 / 2007

(رمدك) 3-45-455-9957-978 ISBN

جميع الحقوق محفوظة للناسر. لا يُسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناسر.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior written permission of the publisher.

المحتويات

- ١ - دفاعاً عن الماركسية ٩
- مقدمة: الماركسية والاشتراكية وحرية الانتقاد ١١
- الفصل الأول: نقد العقل الثوري ٢٥
- الفصل الثاني: ملاحظات حول مغالطات بصدد الماركسية واللينينية والديوقراطية ٥٧
- الفصل الثالث: نقد ماركسية ما بعد الانهيار ٧٥
- ٢ - نظرية الحزب لدى مهدي عامل ١٢٥
- مقدمة: مهدي عامل: فيلسوف الثورة العربية ١٢٧
- أنطولوجيا الوجود الاجتماعي لدى مهدي عامل ١٤١
- ما هو السياسي؟ ١٤٧
- الأحزاب البرجوازية بين الهوية والسيطرة ١٤٩
- حزب البروليتاريا الثوري ١٥٣
- خاتمة ١٥٧
- ٣ - المثقف والسلطة في الوطن العربي ١٥٩
- ٤ - الماركسية والقومية ١٦٩
- ٥ - تجديد العقل النهضوي ١٧٧
- الفصل الأول - نحن والفكر المستورد ١٧٩

الفصل الثاني - الخطاب الفكري العربي وتحديات الحداثة ————— ٢٢٢

الفصل الثالث - العولمة والهوية القومية ————— ٢٣١

الفصل الرابع - مفهوم النهضة عند الحركات السياسية العربية ————— ٢٤١

الفصل الخامس - العقل والثورة: جدل التحديث ————— ٢٤٩

الفصل السادس - كيف نقوم الديمقراطية في مجتمع ما؟ ————— ٢٦٩

الفصل السابع - المثاقفة الاستغرايية ودورها في بناء الفكر ————— ٢٧٧

النهضوي العربي

الفصل الثامن - في سبيل بعث اليسار العربي ————— ٢٩٧

نقد واقع اليسار في ضوء مفهومه

الفصل التاسع - الضرورة التاريخية لحركة التحرر القومي العربية ————— ٣١٢

٦ - الثقافة في عالم متغير ————— ٣٢٥

٧ - ثقافة المقاومة في مجابهة مقاومة الثقافة ————— ٣٣٩

٨ - أطروحات حول الديموقراطية ماضياً وحاضراً ومستقبلاً ————— ٣٤٥

٩ - التطبيع في زمن العولمة ————— ٣٥٣

دفاعاً عن الماركسية

(نشر عام ٢٠٠١)

مقدمة :

الماركسية والاشتراكية وحرية الانتقاد

سلامة كيلة

منذ الثمانينات كنت أشير إلى "أزمة الماركسية العربية"، حيث كنت أعتقد بأن "الماركسية" ليست ماركسيّة، وأنها تكرر صيغة تبلورت في الاتحاد السوفياتي أسميت "الماركسية اللينينية" وأطلق إلياس مرقص تسمية "الماركسية السوفياتية" وهو يوصفها، وكنت أشير إلى ضرورة أن تُلقى في "سلة المهملات"، لأنها لا تحمل من الماركسية سوى "الأشكال" أي الكلمات، بينما يقبع في عمقها منطق أكثر من مثالي، وأقصد لا هويتي. وكان وجود الاتحاد السوفياتي يمدّها بالأساس الضروري لاستمرارها، وكما بشرعيتها، وأكثر من ذلك بالحسم أنها هي الماركسية. وكانت المسألة الأساسية التي انشغلت بها - ولقد انشغل بها العديد من الماركسيين قبلي - تتمثل في توضيح خواء هذه "الماركسية"، وبالتالي نقد منظوراتها المختلفة، سواء فيما يتعلق بالمسألة القومية، أو فيما يتعلق باختيارات التطور الاقتصادي الاجتماعي، أو فيما يتعلق بماهيتها... إلخ، للوصول إلى أن السياسة التي تتبعها "الماركسية العربية" منافية للماركسية، لأنها بالأساس منافية للواقع.

مع بدء انهيار النظام الاشتراكي في أوروبا الشرقية، ومع انهيار الاتحاد السوفياتي، جرت عملية تحول "حاسمة"، حيث فتحت معركة بالعتار الثقيل ضد نمط الماركسية التي كانت تسكن عقول الماركسيين العرب، من قبل العديد من الذين كانوا مدافعين أشداء عن "الماركسية الرائجة" ربما كان ذلك ضرورياً، نعم

ولكن ما بدا هو أن تسرعاً حكم عملية الانقلاب هذه، لأن "لحظة الانهيار" هي ذاتها "لحظة الانقلاب" دون مسافة ولو بسيطة من أجل التأمل وإعادة الدراسة ومراجعة التجربة. وكأن المسألة تتعلق بقميص منسوخ ألقى في سلة المهملات، وليست مسألة وعي وممارسة، وبالتالي قناعة واقتناع يحتاج تجاوزها إلى وعي مشكلاتها وبالتالي وعي البديل عنها. لهذا بدا هذا الانقلاب وكأنه انتقال من سياسة إلى أخرى، لكنه في الواقع تغيير في الشكل مع تمسك في الأساس والمتابع لما يكتب سيلاحظ بأن الماركسية ما زالت غائبة كما كانت في السابق وأن السياسة العملية ما زالت كما كانت. لكن هذه المرة انقلب المديح ذماً للأفكار ذاتها، والأشخاص أنفسهم. لهذا طرح السؤال ما الماركسية، وما دورها الواقعي، وهل الاشتراكية ضرورية؟ كما أصبح لينين محط اتهام، وأشير إلى أفكار لماركس تحتاج إلى نفي، وأعيد الاعتبار لبرنشتاين وكاوتسكي وبلخانوف...والخ، واستند إلى غرامشي انطلاقاً من أنه نقيض لينين. وكذلك طرح سؤال الديمقراطية، بارتباطها، أو بعدم ارتباطها بالماركسية. وأعيد البحث في خيارات تطور الأمم المختلفة، انطلاقاً من ضرورة ترسملها بالتحديد، كما وضع الحزب اللينيني على بساط "النقد"، والمسائل كثيرة، ل يبدو أن كل "المحفوظات" السابقة، التي كانت مجال تبجيل غدت مجال رفض. إنها فوضى عارمة، اختلط فيها السؤال المؤرق، بالإجابة "الهزلية" والتلمّس الجاد للمشكلات بالتشكيك، ومحاولات الفهم المترن بالتسرع في إصدار الأحكام و"إعدام" الأشخاص والأفكار. وأقول هنا إنّ الطابع العام لهذه الموجة لم يكن "عاقلاً" بل عبّر عن انقلاب سطحي لأنه أعاد إنتاج السياسات ذاتها وإن في إهاب جديد، في كلمات جديدة، وعبر حملة "هجومية" قاسية على تصورات اعتبر أنها تصورات السابقة، رغم أنه كان على النقيض منها، لقد اعتقد بأنه كان لينينياً فبدأ الهجوم على لينين، واعتقد أنه كان يدعو إلى تحقيق الاشتراكية، فبدأ تأكيد حتمية التطور الرأسمالي كي لا ندخل نفق حرق المراحل وحرف التاريخ عن مساره عبر إرادوية فظة، تملكها لينين في يوم ما، وليصبح مفهوم الثورة طفولياً لأن تجاوز حرف المراحل يفترض "التراكم" عبر الإصلاح لا وليس عبر أي طريق آخر.

لهذا بدأت إدانة "الماركسية الرائجة" انطلاقاً من أنها دعت إلى تحقيق الاشتراكية، وطالبت بالثورة عبر اتباعها طريق لينين متجاهلة الطريق الأصح، طريق كاوتسكي وبلخانوف وقبلهم برنشتاين، وليصبح طريق هؤلاء هو الطريق القويم، المعبر عن ماركسية ماركس!! ولأنتني التقطت منطق الماركسية الرائجة ونقدته منذ الثمانينات، بدا لي بأن هذا الضجيج هزلي، لأن هذه الحرب هي حرب ضد طواحين هواء، فنقادنا الجدد يفتحون حرباً ضد تصورات وسياسات لم تكن هي سياستهم ولا تصوراتهم، وليس سياستهم وتصوراتهم سوى سائر للهجوم على تصورات وسياسات أخرى من جهة، ولإعادة إنتاج سياستهم وتصوراتهم ذاتها من جهة أخرى. ولن أجد هنا في توضيح ذلك لأنتني أوضحته في مكان آخر^(١) لكن من الضروري أن نناقش "الأفكار الجديدة"، لكي تتضح مطابقتها للماركسية، ماركسية ماركس، التي يؤكد النقاد الجدد أنهم يعودون إليها.

هذا ما يتناوله د. هشام غصيب في هذا الكتاب، وهو الماركسي الجاد، المعني بعلمية الماركسية وثورتها، حيث يتناول موجة النقد هذه بشكل عام، ثم يتناول "قائداً شيوعياً أردنياً" ليخصص الجزء الأساسي من الكتاب في مناقشة كتاب عطية مسوح "الماركسية من فلسفة للتغيير إلى فلسفة للتبرير" الصادر عن دار الينابيع (دمشق) سنة ١٩٩٥. وأنا أتفق مع د. هشام بالاتجاه الأساسي للنقد، ويتوضح ذلك في كتابي "فوضى الأفكار"، فرغم انقطاعي عنه في فترة التسعينات، إلا أننا تناولنا الزوايا ذاتها تقريباً ونحن ننتقد ما أسميته النقد الجدد، أو ما أسماه هو "شيوعية ما بعد الانهيار" وخصوصاً تناولنا لطبيعة وعي الماركسية ثم السياسات التي يقود إليها هذا الوعي.

ولا شك في أننا مقتنعون بأن هؤلاء لم يعرفوا الماركسية وفي الغالب لم يتعلموا عليها، إلا عبر الأدبيات السوفياتية المبسطة. رغم "قسوة" هذا الحكم إلا أن مناقشة الأفكار التي يطرحونها توصل - في الغالب - إلى هذه النتيجة، ولهذا يبدو أننا في فوضى، حيث تدمر الماركسية باسم الماركسية، ويشطب لينين باسم ماركس، ويزال

(١) سلامة كيلة "فوضى الأفكار، الماركسية واختيارات التطور الاقتصادي الاجتماعي" دار الينابيع /

هدف الاشتراكية باسم الضرورة التي تفرض الرأسمالية، ويهال التراب على خيار لينين باسم تصفية الحساب مع الماركسية السوفياتية، إننا في فوضى، ولهذا كان من الضروري التحديد، وإعادة ترتيب الصورة، وما يقدمه د. هشام هنا يسهم في ذلك إلى أبعد حدود، فهو يلتقط أساسيات وعي "شيوعي ما بعد الأنهياري"، ليؤكد تناقض مفاهيمهم والماركسية، ويشير إلى أنهم لم يطلعوا - بالأساس - على الماركسية.

وأتفق ود. هشام بأن المشكلة لا تكمن في المراجعة والانتقاد، بل تكمن في أن هذه المراجعة تجري انطلاقاً من "الأدوات القديمة" ذاتها، لهذا تبدو الأفكار الجديدة وكأنها "انتقال من طرف إلى آخر" ليتوضح بأن المنهجية التي تحكمها هي منهجية قديمة، أساسها مفهوم الهوية الأرسطي (وإن لم يقرؤوا كذلك أرسطو) وليس جدل هيجل / ماركس، رغم أن النقاد الجدد يدعون إلى ضرورة التزام الماركسية انطلاقاً من أنها "الجدل المادي التاريخي" ليبود أن تحديد الماركسية بأنها الجدل المادي لا يعني شيئاً مادامت "آلية الذهن" مؤسسة أرسطياً، لهذا سيبدو هذا التحديد فارغاً أو ممرراً لأفكار جديدة تتجاوز الماركسية. وإذا عدنا إلى كل الاتجاهات التي تجاوزت الماركسية فسنلاحظ أنها كانت تبدأ في التخلي عن الجدل هذا ما فعله برنشتاين حينما انتقد "المخلفات" الهيجلية لدى ماركس ويقصد بالتحديد الجدل، ولا شك في أن وعي مفاعيل الجدل وارتباطه بمجمل منظومة ماركس هو الذي قاد إلى التخلي عنه كمر للتحلي عن الاشتراكية، حيث أصبح بديله هو منطق "التراكم الكمي" القائم على أساس "موضوعي" حيث تتطور الرأسمالية إلى أن تتعفن فتخلفها الاشتراكية، وهنا جرى التمسك بنص ماركس بقوله: "إن تشكيلاً اجتماعياً معيناً لا يزول قط قبل أن تنمو كل القوى الإنتاجية التي يتسع لاحتوائها ولا تحل قط محل هذا التشكل علاقات إنتاج جديدة ومتفوقة ما لم تتفتح شروط الوجود المادي لهذه العلاقات في صميم المجتمع القديم نفسه"^(٢).

لتكون النتيجة أن "كل القوى الإنتاجية" للرأسمالية لم تنم ما يكفي لتجاوزها ولقد

(٢) كارل ماركس "إسهام في نقد الاقتصاد السياسي" ترجمة أنطوان حمصي منشورات وزارة الثقافة.

دمشق / ١٩٧٠ (ص ٢٦).

حكمت هذه النتيجة - كما أشرت - "نظرة كمية" قادت إلى أن تصبح "الأحزاب الاشتراكية" جزءاً من التكوين الرأسمالي.

لهذا سيبدو مستغرباً موقف "النقاد الجدد"، لأن أساس خطابهم يقوم على التمسك بالجدل المادي، لكن النتيجة لم تكن تختلف عما توصل إليه النقاد القدماء، حيث إن "الجدل المادي التاريخي" يفضي - عبر دراسة الواقع - إلى تأكيد على "خرافة الاشتراكية" و "ضرورة الرأسمالية" لأن الرأسمالية لم تستنفد إمكانات وجودها، وأنها "الصيغة الموضوعية" على الضد من كل تصورات "الماركسية الرائجة" التي كانت تسعى إلى تحقيق الاشتراكية حسب هؤلاء النقاد. والغريب أن نص ماركس آنف الذكر هو المستند لهذه الرؤية، كما كان لدى برنشتاين. ليبدو أن "الجدل المادي التاريخي" ليس مفهوماً، أو أنه صيغة غامضة طرحت كبديل لـ "النظرية الماركسية اللينينية" فقط لهذا بدا كبديل فارغ لا معنى له، وهذا ما أسست له "الماركسية اللينينية" ذاتها وأقصد "الماركسية السوفياتية" عبر تنسيقها النصوص الماركسية في "موضوعات" لكل منها قوانينها الخاصة، مما حول الجدل إلى "فلسفة تأمل" حيث وضع خارج التاريخ (المادية التاريخية) والواقع (الاقتصادي والسياسي والاشتراكية العلمية وعلم الأخلاق الماركسي)، ليكون صيغة "فلسفية" تهيم بعيداً عن كل هذه الموضوعات. وبالتالي أصبح من الطبيعي أن تظل كذلك لدى "النقاد الجدد" ما داموا لم يعودوا إلى دراسة ألف باء الماركسية، لأن وعي الجدل المادي وتمثله يفترضان العودة إلى ماركسية ماركس/ إنجلز ولينين، ودراستهم بتأن وعمق وروية. إن تجاوز الماركسية السوفياتية يفترض قراءة ما لم يُقرأ سابقاً وأقصد: الماركسية، فالجدل المادي لا يصبح "آلية ذهنية" علمية دون ذلك، ولأن الماركسية السوفياتية رفعت الجدل وقولبته وأسست قوانين الواقع بعيداً عنه، بدا رمزاً دون معنى ولا فعل بينما يفهم الواقع انطلاقاً من تلك القوانين، وهذا ما كان يؤسس للقول بضرورة (حتمية) المرحلة الرأسمالية، حيث لا يمكن أن يخلف الإقطاع سوى الرأسمالية، وهذا هو أساس فكرة "حرف مسار التاريخ" و "حرق المراحل" عبر الإرادية الفظة... الخ. ما علاقة الجدل بذلك؟ أليست الإرادة أليس

الجدل المادي التاريخي وليتركز الهجوم على الماركسية، ماركسية ماركس ولينين. وبالتالي لتكون الماركسية هذه المرة هي "الماركسية اللينينية"، وليفهم الجدل المادي التاريخي كما في "الماركسية اللينينية" أي كمقولات في "فلسفة تأملية" مقطوعة الصلة بـ "العقل" بفعل "العقل".

ولقد كنت منذ الثمانينات أؤكد أن الماركسية هي منهجية بالأساس وأن الجدل المادي هو أسها في وقت كانت الماركسية تعرف كفلسفة أو كنظرية أو كعلم.. الخ وكان المنطق النصي هو منهجها و"العلماء السوفييات" هم أساتذتها وكبار مفكرها، وحيث صيغت في شكل مكتمل عبر أقسامها الأربعة (أو الخمسة) وأقصد: المادية الجدلية، المادية التاريخية، الاقتصاد السياسي، والاشتراكية العلمية (وعلم الأخلاق الماركسي) لتعتمد كـ "فلسفة، نظرية، علم.. " مكتملة ونهائية. وبهذا كانت الدعوة إلى العودة "للماركسية الأصلية" ماركسية ماركس/ إنجلز ولينين ضرورية، كما كان تأكيد ماهيتها أي الجدل المادي ضرورياً كذلك، لأنه يهدف إلى تجاوز "الماركسية اللينينية" أي (الماركسية السوفيائية) ولقد كنت أحل منهجية هي الجدل المادي بدل نص مقدس هو الماركسية اللينينية، وأحل آليات تفكير بدل نصوص معروضة لكي تحفظ عن ظهر قلب وأيديولوجيا تأسست على أنقاض الجدل المادي والماركسية الأصلية، وكنت في ذلك أعيد الاعتبار لماركس كما للينين، وبالأساس كنت أعيد الاعتبار لماهية الماركسية لأسها: الجدل المادي^(٢). لكن موجة التسعينات حولت كنه الماركسية إلى واجهة معركة من المفترض أنها ضد "الماركسية اللينينية" لكنها غدت ضد لينين والروح العلمية والثورية في الماركسية دفاعاً عن الماركسية اللينينية أو على الأقل عن منظوماتها الأساسية. وكذلك مدخلاً لتجاوز الماركسية. وبالتالي بات يحول الجدل المادي إلى مسخ، حيث إن نقادنا الجدد لا يفهمونه ولا يستطيعون

(٢) انظر حول ذلك:

- سلامة كيلة حول "الأيديولوجيا والتنظيم" منشورات الوعي (٢).

- سعيد المغربي "نقد التجربة التنظيمية الراهنة" منشورات الوعي (٢).

وكذلك العديد من الدراسات التي نشرت في مجالات الطريق ودراسات اشتراكية ودراسات عربية والنهج.

الفهم انطلاقاً منه (والا كانت كتاباتهم جدلية) لهذا يكرّرون السياسات ذاتها التي حكمت "الماركسية الرائجة" (أي حكمتهم) وبالتالي فهم يعمدون إنتاج الخطاب القديم ربما في ثوب جديد مختلط بتصوير ليبرالي أجوف. أشير إلى ذلك من أجل القول بأن التمسك بكنه الماركسية أي الجدل المادي أمر ضروري، بغض النظر عن "الاستهلاك المبتذل" له من جهة، ولتوضيح بأن نقادنا الجدد "باتوا يستخدمونه كـ "يافطة" ليس إلا، وأنه من الضروري كشف ذلك من جهة أخرى. إن تحليل المنطق الذي يحكم مجمل الأفكار التي باتت تطرح من قبل "شيوعيين ما بعد الانهيار" يوضح بأن الجدل المادي غريب فيها، كما يوضح بأنها ما زالت تنحكم لمنطق نصّي يقبع فيه "لوث أرسطي"، حيث تشكلت هذه الأفكار في التضاد وشيء ما، فكر ما، ولم تتأسس انطلاقاً من البحث في الواقع استناداً إلى الجدل المادي. ولا شك في أن موجة الانتقاد التي بدأت منذ التسعينات لامست قضايا صحيحة، لكنها عالجتها بطريقة خاطئة، أو أن بعض الأفكار التي جرى تراددها استندت إلى نقد سابق لمفكرين ومناضلين حاولوا تحديد مشكلات الاشتراكية والماركسية الرائجة، وإن كانت وضعت في سياقات مختلفة أو فهمت بشكل خاطئ أو منقوص، لكن تبقى حاجة للتوضيح بأنه لا أنا ولا د. هشام نعتقد بأن الماركسية مكتملة أو أن كل أفكار ماركس أو إنجلز أو لينين صحيحة أو أن كل أفكار برنشتاين أو كاوتسكي أو بليخانوف.. الخ خاطئة، إن دراسة التراث الماركسي (الذي يشمل كل هؤلاء وغيرهم) استناداً إلى الجدل المادي هي التي تنتج حدود فكر كل هؤلاء، وأيضاً راهنيته. حيث يجب أن نلاحظ بأن الجدل المادي هو محور انجدال كل منظومة الماركسية، وهو في الوقت ذاته أساس مطابقة هذه المنظومة والواقع، وكذلك أساس عدم انفلاقها. لهذا أشير إلى أن العديد من القضايا في الماركسية تحتاج إلى بحث عميق لأن الإجابات حولها ليست حاسمة والكثير منها شابه التباسات، هذا إضافة إلى أن نشوء الاشتراكية والتطورات في النمط الرأسمالي العالمي يقدمان واقعاً جديداً يحتاج إلى الدراسة وإعادة إنتاج التصورات فالجدل يؤسس لمنظومة مفتوحة ولهذا فهي في حاجة لإعادة إنتاج دائم. وعليه سيبدو الحوار حول الماركسية

تكريس "المفعول به بدل الفاعل".

هذه المسألة تطول مفهوم الحزب الذي هو اتحاد ذات / موضوع وعي / ممارسة، نخبة / طبقة أو "طبقات" إرادة/ عفوية. حيث يفتح أفق فكفكة العلاقة تلك وتحويل دوره. وإذا كان مفهوم المركزية الديمقراطية محط نفي فقد كان بالأساس مفهوماً ملتبساً وأعطته "الماركسية اللينينية" معنى استبدادياً، لكن هل يمكن لجهاز أن يعمل دون مركز ودون آليات ضبط معينة؟ إذن المسألة تتعلق بمنظومة مفاهيم كانت غائبة عن وعي "الماركسية الرائجة" ولهذا أسست لصيغة استبدادية، مما يفرض البحث في قضايا التنظيم بعمق وبوعي لماهية الحزب وبالتالي آليات نشاطه.

المشكلة التي تواجهنا ونحن نتابع نقد النقاد تتمثل في أن المفاهيم الأساسية غائبة، وأن نقدها بالتالي سيكون هزلياً ويتحدد في النفي فقط، أو بمواجهتها بأفكار عمومية فهم ضد "التنظيم اللينيني" ومع الديمقراطية في التنظيم، ولكن لينين كان مع الديمقراطية في التنظيم ومارس ذلك. وسيبدو النقد قائماً على الربط بين لينين وستالين وهو الربط السابق ذاته، لكن المقلوب هذه المرة من المديح إلى الذم من مديح الحزب الستاليني انطلاقاً من أنه لينيني إلى ذم الحزب اللينيني انطلاقاً من أنه ستاليني، في كل الأحوال أتمنى النقاش الجاد لهذه المسألة وكل المسائل الأخرى (من مفهوم تلاشي الدولة إلى مفهوم الاشتراكية إلى طبيعة النمط الرأسمالي... الخ) حيث إننا إزاء سيل الإدانة الذي لاحق التجربة الاشتراكية منذ أن انهارت، نقفز عن التقييم الموضوعي للتجربة من جهة، وبالتالي نخسر من جهة أخرى إمكانية الاستفادة منها في إعادة صياغة التصورات حول الاشتراكية، ونجهد في الدفاع عن مسائل حسمت منذ قرن تقريباً، كما نضيع عن التحليل العلمي لطبيعة النمط الرأسمالي العالمي في الوقت الراهن. لكن ربما كانت المصلحة هي التي فرضت الاستفادة من انهيار التجربة الاشتراكية لكي تعيد إنتاج مفاهيم لم تنتج سوى الحركة الاشتراكية الأوروبية أي "الجناح اليساري" للرأسمالية، وهذه المسألة تلقي ضوءاً على الطبيعة الطبقية لنقادنا الجدد، وبالتالي فإن المهمة الراهنة تتمثل في إعادة إنتاج التصورات الماركسية والدفاع عنها في آن معاً، من أجل تجاوز قسوة التسمينات التي أفضت

إلى أنهيار عام في صفوف الماركسيين العرب وإلى فوضى انحكمت لموجة عاتية من الانتقاد ومن التشفي، وكذلك من الهجوم والإدانة. إننا بالتالي إزاء إعادة وعي الماركسية ووعي دورها الواقعي من أجل أن تعود قوة فعل أيضاً. وهذا ما يحاوله د. هشام غصيب في هذا الكتاب، وسيبدو الهدف من هذا الكتاب متفقاً مع الهدف من كتابي "فوضى الأفكار" ولا شك في أن الاتفاق العام في رؤية الماركسية (كونها الجدل المادي) من جهة، وفي تحديد الهدف الراهن، المحدد في مواجهة كل الاتجاهات التي "شلحت" الماركسية، أو حاولت تكييفها والرأسمالية، من جهة أخرى، هما من أنتج الكتابين وأنتج التوافق بينهما.

وكما أشرت لن أبسط ما يتناوله د. هشام فلا شك في أن الدخول فيه أفضل...

الفصل الأول

نقد العقل الثوري

هل هناك بديل تغييري للماركسية؟

لننترف ونجابه الحقيقة المرة بشجاعة: إن القوى السياسية والثقافية، الرسمية والشعبية، الحاكمة والمعارضة، المحلية والعالمية، تتصرف هذه الأيام بافتراض أن الأهداف الكبرى التي سادت في القرنين الأخيرين (١٧٨٩ - ١٩٨٩)، أي منذ الثورة الفرنسية الكبرى وحتى انهيار المنظومة الاشتراكية في شرقي أوروبا، (الأهداف المتمثلة في: سيادة العقلانية العلمية الثورية، وقيم التحرر القومي، والتنمية المتمحورة حول الذات في سياق الصراع العالمي من أجل تقويض الرأسمالية والانتقال إلى الشيوعية، والهدف الاشتراكي: بناء المجتمع اللاتبقي المتقدم المتحكم في ذاته وسيروته) - أقول: إن هذه القوى تتصرف بافتراض أن هذه الأهداف قد انتهت إما لأنها فقدت مبرر وجودها، أو لأن أحداث التاريخ المعاصر كشفت عن وهميتها ومثالياتها وعن أن المجتمع الرأسمالي الديمقراطي هو نهاية التاريخ والنظام الأمثل الممكن، برغم ثغراته.

هناك بالطبع من يصرح بذلك علانية ومن دون موارد (فوكوياما في الولايات المتحدة، وتلاميذ له ومقلدون في بلادنا، وفي غيرها...). ويذهب أولئك إلى اعتبار أي تدخل من الدولة لتخفيف المعاناة الناجمة عن اقتصاد السوق (مثلاً تأميم الطب) مرفوضاً لأنه في نظرهم يخل بالنظام الطبيعي ويؤدي إلى كوارث اقتصادية ومعاناة أشد. لكن الكثيرين لا يعمدون إلى مثل هذه الصراحة الفجة

الفصل الثاني

ملاحظات حول مغالطات بصدد

الماركسية واللينينية والديمقراطية

